# الخطبة الثانية والعشرون
## واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأعراف: 7/ 163].

إن الله سبحانه وتعالى يمتحن الناس ويختبرهم لا لأنه سبحانه وتعالى لايعلم والعياذ بالله وهذا كفر، لكن الله يريد أن يقيم الحجة عليهم، فهو يختبرهم حتى يريهم نتيجة أعمالهم، أما هو سبحانه فيعلم ما كان وما سيكون ... وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه وبيّن احتياجاتهم لو لم يختبرهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾[طه: 20/ 134]، لذلك لا بد من الامتحان ولا بد من الابتلاء ولا بد من عرض الفتن، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[الأنفال: 8/ 37]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[آل عمران: 3/ 141].

إن الله سبحانه وتعالى جعل يوم السبت لليهود يوم عبادة، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يمتحنهم فصارت الحيتان تأتي بكثرة قرب الشاطئ يوم السبت، وفي غير يوم السبت لا تأتي فكانوا يرونها و يتشوقون لاصطيادها ولكنهم لا يستطيعون، فلما طغت عليهم الشهوة نصبوا الشباك قبل يوم السبت، فلما جاءت الحيتان يوم السبت وقعت في الشباك، ولما انقضى السبت سحبوا الشباك وأخذوا الحيتان، وهذا تحايل وهو حرام وسمّاه الله سبحانه وتعالى اعتداء، فعاقبهم بمسخهم قردة كما جاء في سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾[البقرة: 2/ 65 - 66]، أما في سورة الأعراف فكانت

القصة مفصلة إذ يخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن اليهود انقسموا إلى ثلاث فرق:

1. فرقة ارتكبت الحرام وتحايلت على أمر الله تعالى بنصب الشباك.
2. وفرقة نهت عن هذا الفعل وبيّنت أنه حرام.
3. وفرقة سكتت عن الحرام فلم تفعله ولم تنهَ عنه وعاتبت الفرقة الثانية عن نهيها للفرقة الأولى.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾[الأعراف: 7/ 164 – 166].

بيّن الله سبحانه وتعالى أن الفرقة التي تحايلت على شرع الله وأوامره مسخها الله قردة، وأما الفرقة الثانية التي أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر فقد أنجاها الله سبحانه وتعالى، وأما الفرقة الثالثة فقد سكت القرآن الكريم عنها، فلا هي ارتكبت الحرام فما كانت من ضمن ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[الأعراف: 7/ 165]، وما كانت من ضمن ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾[الأعراف: 7/ 165]، فالله أعلم بحالهم، قال عكرمة: إنه ما زال يراجع ابن عباس حتى استقر الأمر، والله أعلم، أنهم كانوا من الناجين؛ أي إن الفرقة التي سكتت نجت من عذاب المسخ ...

وهذه القصة مهمة جداً ومن أهميتها ذكرها الله تعالى في موضعين من القرآن الكريم:

1. وهي مهمة لأنها تشرح الضعف البشري أمام الشهوات، وأن الإنسان يعتريه الضعف أمام المغريات فيقع في الحرام ... وقد يسأل أحدنا إذا وقعنا في الحرام والمعاصي فأين رحمة الله تعالى وأين التوبة والاستغفار، وأين أعمالنا الصالحة؟ والجواب هو – والله تعالى الموفق – أن هناك فرقًا بين من يفعل الحرام مستحلاً له لا يرى به بأسًا ولا يرى به عقابًا يؤوِّلُ النصوص ويلويها عن مقاصدها

لتخدم هواه وشهواته ويتحايل على شرع الله فهذه هي المستحقة للعقوبة، لأن هذا كفرٌ ورَدٌّ للشريعة، أما المخالف والمسيء والعاصي نتيجة ضعف بشري وفتنة ما استطاع ردها، ولكنه يعلم أنها ذنب ويعلم أن هناك عقوبة ويعلم أنها مخالفة لشرع الله، ويريد أن يتخلص من هذه الفاحشة ويتمنى لو أن الله يساعده فيتغلب عليها، ثم يتوب ويستغفر ويكثر من الصالحات، قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾[التوبة: 9/ 102]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾[القصص: 28/ 67].

2. التحايل على شرع الله هذا أمر خطر لما يتضمنه من أمور شنيعة، منها سوء الظن بالله تعالى، وكأن الله تعالى والعياذ بالله لا يعلم ما في نفسه، وكأن الله تعالى لا يطلع على خبايا النفوس والصدور... ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (12) مرة في القرآن الكريم، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾[النساء: 4/ 81]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾[النساء: 4/ 108]، ثم أمر آخر وهو ردُّ ما شرعه الله تعالى، ثم أمر آخر خطر، وهو لو سأل هؤلاء اليهود من جعل الحيتان تأتي يوم السبت؟ من مسيّرها؟ من ربها؟ من أمرها؟ أليس الله تعالى!

إذن لو عبدنا الله تعالى حق عبادته وتضرعنا إليه لأتى بها كل يوم، فهو القادر وهو الرازق، وهو المدبر سبحانه وتعالى ... فيجب على المؤمن أن لا ينظر إلى النعمة ولكن ينظر إلى المُنْعِم المتفضل العاطي الرازق ...

3. عدم الاستجابة للنصيحة ... يجب على الإنسان أن يستجيب لما فيه خيره وفلاحه وعليه أن يستجيب للمعروف، وأن يكون في قلبه خشية لله تعالى ... ولكن بعض الناس- غفر الله لنا ولهم- تأخذهم العزة بالإثم ويأخذهم الكِبْر، ويتعالون عن الناس، ويظنون أنهم برجوعهم إلى الحق قد ضَعُفُوا أو استكانوا أو أنهم قد أُذِلوا أو أنهم انكسروا أمام الناصح، والواقع أنهم ربحوا وفازوا ...

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾[الرعد: 13/ 18].

فعدم الاستجابة والانصياع مصيبة المصائب، وانتصار لشيطان النفس، وتَكَبُّر، ورَدٌّ للحق، و هذا ليس من شيم المسلم، فالمسلم الحق وقَّاف عند حدود الله تعالى، يخاف الله تعالى، ويخاف عقابه، ويعلم أن الله سريع العقاب ...

4. أهميه الأمر بالمعروف النهي عن المنكر ... هذا أمر لا بد منه، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه نجاة الأمة بأكملها، المعاصي لا يدفع ثمنها العاصي فقط، إنما الأمة كلها تدفع الثمن ... عن أبي بكرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولايغيرونه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه» مسند الإمام أحمد، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيد، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن النبي ﷺ قال: «مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم» ابن ماجه.

وعن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإنَّ من ورائكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قالوا: يا رسول الله- ﷺ -أجر خمسين منهم؟ قال ﷺ: لا بل أجر خمسين منكم» (د - ت - هـ - ابن حبان).

وعن كعب بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» مسند الإمام أحمد - الطبراني. وعن فُضَالة بن عبيد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «المجاهد من جاهد نفسه في الله تعالى» (الترمذي - وابن حبان).

5. الوثوق بما عند الله تعالى ... إن الربح والفوز بالدنيا والآخرة والنجاة في تطبيق

شرع الله تعالى ولو كان الظاهر يخالف ذلك، لأن الكون وما فيه هو من خلق الله ومُسيّر بأمر الله وما يجري فيه، أي في هذا الكون كله صغيره وكبيره ما تراه وما لا تراه، كل شيء مقدر بأمر الله ومنه سبحانه وتعالى، فالحيتان خَلْقٌ من خلق الله لو أمرها الله لأتت في أي وقت لاتستطيع العصيان ... فعلاقتنا مع الله، مع رب المخلوقات ورب الأشياء، ومن الخطأ أن تكون علاقتنا مع الأشياء، انظر إلى المسبب، انظر إلى الخالق، انظر إلى من بيده ملكوت كل شيء سبحانه وتعالى.

6. يجب علينا الخوف من الله تعالى ... والخوف من عقابه، والخوف أن تكون جنة عرضها السموات والأرض ولا يكون لي فيها موضع ...

7. الاتكال على الله تعالى وأن لا تخاف في الله لومة لائم، وذلك في قول القوم الساكتين ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأعراف: 7/ 164]، الدنيا فانية، الحق ما رضيَ الله تعالى به وأمر، ورضيَ به رسوله الكريم ﷺ، أُثْبُتْ على الحق ولو خالفك فيه الناس، هل تذكر أبا بكر ﷺ في حروب الردة عندما جابهه الناس وقال له عمر ﷺ بما تقاتلهم؟ أي إن الناس ليسوا راضين عن هذه الحرب، قال رضي الله عنه وأرضاه: «والله لأقاتلنهم بسيفي هذا حتى يرجعوا إلى دين الله أو أن تنفرد سالفتي، أيثلم الدين يا عمر وأنا حي، أيثلم الدين يا عمر وأنا حي»، فلتكن هذه طريقتنا، ندافع عن دين الله، ندافع عن سنة نبينا، لا نخاف في الله لومة لائم لعل الله يرحمنا، لعل الله ينجينا، نرجوه تعالى أن يجعلنا من ضمن ﴿ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾[الأعراف: 7/ 165].

عمر بن الخطاب مطعون ست طعنات في معدته ودمه ينزف وهو ملقى على الأرض وجاء الطبيب وقال: أوصِ يا عمر ... أي إنك ميت لا شفاء لك ... فقال عمر «جزاك الله خيراً بأن صدقتني» وإذا برجل يمر أمام عمر فقال له: «ارفع إزارك فإنه أتقى لقلبك وأنقى لثوبك» ... تموت يا أمير المؤمنين، والناس حولك يبكون ويألمون، وأنت بألفاظك وأنفاسك الأخيرة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، رضي الله عنك وأرضاك وجميع المسلمين.

ورأى رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب في إصبع أحدهم فنزعه رسول الله ﷺ وطرحه أرضاً وقال: يعمد أحدكم إلى قطعة من نار فيضعها في إصبعه، فلما قام رسول الله ﷺ، قالوا للرجل: خذ خاتمك، فقال: كيف آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ. ما هذه التقوى! ما هذا الاحترام! أين أنا من هذا؟ أين أنا من هذا السلوك؟

أي الناس أنا؟ هل أنا ممن يغير شرع الله ويتحايل عليه، هل أنا ممن يرتكب الحرام ويخلق الأعاذير والمعاذير؟ هل أنا ممن يجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً وأرفع لافتة الضرورات تبيح المحظورات؟

هل أنا ممن يستنكر الحرام ويندد به ويجهر بحرمته وينادي بعداوته، أم أنا ممن يقولون: (ما دخلي أو يصطفلوا، أو يا دار ما دخلك شر) ...

هل يُنْتَهك الإسلام في بيتي؟ في مكتبي؟ في عملي؟

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر: 103/ 1 - 3]، لا بد من التواصي بالحق، لا بد من إحقاق الحق، لا بد من أن نصدع بالحق وأن ننصر الحق، لا بد أن نصبر لأن مقاومة الحق في بعض الأحيان قوية وشرسة، ولكن اعتمادنا وتوكلنا على الله رجاء ثوابه وخوف عقابه ...

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

**والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين**